د.عبدالحكيم خسرو

أستاذ العلوم السياسية في جامعة صلاح الدين-أربيل
وباحث في معهد الدراسات والتنمية-كردستان العراق

رؤية كردية:

ماذا لو استقلت كردستان العراق؟

تواجه قضية استقلال كردستان العراق العديد من الصعوبات، بسبب الظروف الدولية المحيطة بالعراق وإقليم كردستان في ضوء الحرب على "داعش" وتأثيراتها المحلية والإقليمية والدولية.

في ضوء تداعيات هذا الاستقلال المحتمل لإقليم كردستان العراق وتأثيراته محلياً وإقليمياً وعالمياً، يمكن تفسير الأصوات المعارضة لإجراء الاستفتاء على استقلال الإقليم والداعية إلى تأجيله أو إلغائه.

أولاً: لماذا الاستفتاء؟

يقف العديد من الأسباب وراء لجوء القيادة السياسية في كردستان العراق إلى إجراء الاستفتاء، من بينها تفكك الجيش والمؤسسات الأمنية العراقية، ووقف الحكومة الاتحادية صرف ميزانية الإقليم، وعدم اكتمال مؤسسات الدولة الاتحادية، التي كانت الضمانة الأساسية لبقاء العراق دولة موحدة ذات سيادة. ومع تخلي السلطات الاتحادية عن تنفيذ مقررات الدستور العراقي، اعتبر إقليم كردستان أن من حقه إعلان الاستقلال. لذلك كانت الرغبة قائمة بشأن التفاوض مع السلطات الاتحادية العراقية لترسيم الحدود، وإنهاء قضية المناطق المتنازع عليها، وحل القضايا العالقة التي يمكن أن تكون مصدراً لتوترات مستقبلية.

وتنظر قيادة إقليم كردستان إلى البقاء في ظل الدولة العراقية باعتباره بديلاً يزيد المخاطر التي ستواجه شعب كردستان. وعلى الرغم من أنه لا خلاف حقيقياً حول الاستفتاء بين القوى السياسية الكردستانية، فإن هناك اختلافاً حول التوقيت لرغبة بعض القوى في استكمال بناء مؤسسات النظام السياسي أولاً، وتفعيل البرلمان المعطل من 2015 قبل إجراء الاستفتاء. كما توجد بعض الخلافات حول ملف رئاسة الإقليم، وهي من أسباب تأجيل الاستفتاء في نهاية 2014.

ثانياً: تبعات الاستقلال إقليمياً

تنشغل أطراف إقليمية عدة بنتيجة الاستفتاء، لما يترتب عليه من خسائر محتملة في حال استقل الإقليم، لكن هناك مكاسب محتملة أيضاً. والأطراف التي ستخسر تطالب سلطات الإقليم بالعدول عنه، وتحذر من حرب أهلية داخلية يمكن أن تنشب، وأن شعب كردستان سيكون الخاسر الأكبر، خاصة إذا تدهورت الأوضاع الأمنية والسياسية في العراق أكثر مما هي عليه، وتتمثل تبعات الاستقلال على الدول الإقليمية فيما يلي:

• **تبعات الاستقلال على إيران:** في حال استقل الإقليم ستكون إيران من أكبر الخاسرين. وقد دأبت إيران على دعم حكم الأحزاب السياسية الشيعية في العراق، وساهمت في إنشاء الحشد الشعبي الذي لا تأتمر تيارات فيه بأوامر القائد العام للقوات المسلحة العراقية، بل ترتبط بالحرس الثوري الإيراني. وفي حال الاستقلال يُتوقع حصول مواجهات بين قوات البيشمركة والحشد الشعبي في مناطق التماس، خاصة المتنازع عليها، وتكرار أحداث منطقة طوزخورماتو، التي شهدت مواجهات

بين البيشمركة وبعض فصائل الحشد عام 2016. ويمكن أن تستغل إيران توغلها في السياسة العراقية في حال استقل الإقليم، وتعمل على تحريك هذه الفصائل لزعزعة استقرار المناطق المتنازع عليها، وغلق الحدود بين الإقليم وإيران.

• **تبعات الاستقلال على تركيا:** التهديدات التركية كانت حادة حيناً ومبطنة حيناً، وذلك بالإشارة إلى حق التركمان في مدينة كركوك، أو الحفاظ على وحدة الأراضي العراقية، أو التحذير من الحرب الأهلية في العراق وعدم استقرار إقليم كردستان. وقد اعتبر أردوغان إجراء الاستفتاء قراراً خاطئاً يلزم التراجع عنه، والتركيز على الحرب على الإرهاب وإعادة الاستقرار إلى العراق وسوريا.

وهذه المواقف العلنية التركية لا تنفي حجم المصالح الاقتصادية والسياسية بين أربيل وأنقرة، خاصة في مجال الطاقة، لأن إقليم كردستان هو الضامن لأمن الطاقة التركي، هذا بالإضافة إلى أن مستوى الخلافات بين أنقرة وبغداد وصل إلى التهديد بالتدخل العسكري أو الرد العسكري، خاصة في مسألة وجود قاعدة عسكرية تركية في منطقة بعشيقة، ومطالبة العراق مراراً بضرورة انسحاب الجيش التركي من الأراضي العراقية. وفي المحصلة، فإن تركيا لا تريد إضعاف أربيل، لأن ذلك يؤدي إلى تمدّد حزب العمال الكردستاني المصنّف إرهابياً في تركيا، والموجود في جبال قنديل ومنطقة سنجار بإقليم كردستان.

وتبقى العلاقات التركية - الإيرانية مؤثرة على الاستفتاء واستقلال كردستان، خاصة بعد الاتفاق العسكري التركي - الإيراني أواسط أغسطس الماضي حول عدة محاور، منها مكافحة الجماعات الإرهابية وأمن الحدود بين الدولتين. وعلى اعتبار أن الدولتين متفقتان على أن دولة كردستان ستكون سبباً في تفكك دول مجاورة، خاصة إيران وتركيا وسوريا، فإن الاتفاقات العسكرية والسياسية في سوريا بين روسيا وتركيا وإيران حول مناطق التهدئة، وكذلك تقدم القوات النظامية السورية باتجاه دير الزور والحدود العراقية - السورية، تُعتبر مؤشرات على وجود نوع من الاتفاق على التصدي لأي محاولة لإنشاء دولة كردية مستقلة في شمال سوريا أو في شمال العراق، غير أن المؤشرات الأخرى تشير إلى أن التناقضات بين تركيا وإيران والصراع على النفوذ لن ينتهيا خلال هذه المرحلة، وبالتالي تُعتبر الاتفاقات العسكرية المبرمة بين الطرفين اتفاقيات مؤقتة، وأن تأثير التقارب بينهما على استقلال كردستان يتوقف على السياسة الروسية والأمريكية.

> **شكل استفتاء كردستان مفاجأة، وربما إرباكاً، للاستراتيجية الأمريكية في العراق على الرغم من قناعة القيادة الكردستانية بأن الولايات المتحدة تمتلك العديد من البدائل، وأنها ستؤدي دورها في تقريب وجهات النظر بين الإقليم وبغداد، وستراعي استمرار التحالف مع حكومة كردستان. ولن تؤثر تهديدات إيران وتركيا على الاستفتاء واستقلال كردستان العراق، ولكن المتغير الأمريكي هو الحاسم في هذا الصدد.**

ثالثاً: موقف الولايات المتحدة الأمريكية

تتمثل استراتيجية الولايات المتحدة في العراق في إعادة الاستقرار إلى الدولة ومحاربة "داعش" ودعم العراق في إعادة النازحين، وحل الإشكاليات بين إقليم كردستان والعراق. وما دامت الولايات المتحدة معنية بالشأن العراقي، فإنها ستحاول تقليل الدور الإيراني في رسم السياسة الداخلية والخارجية في العراق أو إنهائه، والتقليل من قدرته على تأزيم العلاقة بين بغداد وأربيل.

لقد ساهمت الولايات المتحدة في بناء قنوات للتواصل بين حكومة إقليم كردستان والحكومة الاتحادية من خلال بعض الاتفاقيات الجزئية، ومنها تصدير نفط كركوك والاتفاق على التعاون العسكري، خاصة في معركة الموصل، ولكن إعلان استفتاء كردستان أثر بدرجة كبيرة على قدرة الولايات المتحدة في المستقبل على إعادة الثقة بين الطرفين. وقد شكل الاستفتاء في 25 سبتمبر مفاجأة، وربما إرباكاً، للاستراتيجية الأمريكية في العراق على الرغم من قناعة القيادة الكردستانية بأن الولايات المتحدة تمتلك العديد من البدائل، وأنها ستؤدي دورها في تقريب وجهات النظر بين الإقليم وبغداد، وستراعي استمرار التحالف مع حكومة إقليم كردستان، ومواصلة الاعتماد على التحالف الأمريكي - الكردي في العراق وسوريا.

لن تؤثر التهديدات الإيرانية والتركية على الاستفتاء واستقلال كردستان العراق، ولكن المتغير الأمريكي هو الحاسم في هذا الصدد. فمع وجود رغبة لدى الوسط الشيعي وبعض الأحزاب الشيعية والمرجعية العليا في النجف في إنهاء الدور الإيراني في العراق، ومع ابتعاد الكرد عن العملية السياسية، يزيد التخوف الأمريكي من قدرة الجناح الموالي لإيران، بما أصبح يمتلكه من قدرات عسكرية ومالية، على التأثير في نتيجة الانتخابات النيابية القادمة في أبريل 2018، وإقصاء الجناح المؤيد لإنهاء الوجود الإيراني. وذهاب إقليم كردستان نحو الاستفتاء والاستقلال يمكن أن يدعم هذا السيناريو غير المرغوب فيه أمريكياً.

هذه التداعيات السلبية على الدول الإقليمية والعراق والولايات المتحدة تشير إلى حجم الصعوبات التي تواجه الإقليم في مرحلة ما بعد الاستفتاء، والتي تؤدي إلى تأجيل الاستقلال أو نشوء دولة غير معترف بها على الصعيد الدولي، يتم خنقها اقتصادياً وعسكرياً، واستنزافها في المناطق المتنازع عليها. غير أن المؤشرات الإيجابية موجودة، وتتمثل في التعاطف الدولي مع القضية الكردية، والعلاقات المتوازنة للإقليم عربياً ودولياً، وأنه يتصرف كدولة أمر واقع، وأنه استثمر التناقضات الإقليمية لفرض نفسه لاعباً في أي ترتيبات إقليمية قادمة.